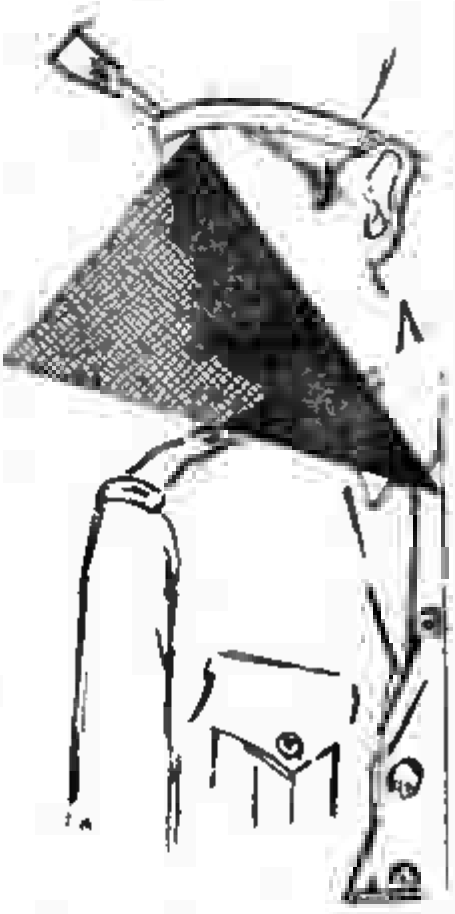

الناس والمولد

بقلم : بكر رشوان

لم يبق السر مستورا بين السبعة كما كان مستطرا ، كأى سر مودع بين افراد كثيرين ، أى انه فى طرف أيام قليلة كان السر معروفا لمعظم اهل مدينة « بالح » وكان آخر من عرفه هو السلطان الذى ارسل حراسة فى الحال ليقبضوا على الحكيم ويستولوا على اكسير الحياة .

ظل الحراس يطرقون باب الحكيم « ابونيل » دون أن يتلقوا اذنا بالدخول، فكسروا الباب ، وما كادوا يدلفون الى حجرته ، حتى وجدوه جالسا فى كرسيه فاقد الحياة ، وعلى ملامحه ابلغ آيات الاندراء للخرعة واهبة الحياة .

وامامه فوق المقعدة ، كانت القوارير السبعة ، ستة منها ما زالت ملئة ، واما السابعة فكانت فارغة . ووجدوا فى يده ورقة ملفوفة مكتوب عليها :

« سنوات طويلة قضيتها فى البحث وراء العلم والمعرفة ، وها أنذا اترك للعالم ثمار كدحى وجهودى .. وهى ستة انواع من السم الزعاف .. وكان من الممكن ان اضيف اليها نوعا آخر ، لكنى امسكت عن اتمامه ..

اكتبوا فوق قبرى : هنا يرقد الرجل الذى رفض أن يدوم العذاب الانسانى .. موهب للبشرية بعصمة الموت التى قد تكون فى حد ذاتها غير صائرة » ..

تطلع الداخلون الى بعضهم بعض ، وهم يجاهدون لكشف الغموض عن كلمات « ابونيل » الاخيرة .

وبينما هم كذلك محدقين ، اذ أفزعهم صوت مرتفع لشىء يتحطم فى الحجرة المجاورة ، وتضاعف افزاعهم عندما انطلق امامهم فرد ضخم بعروة ناعمة ، فى غاية المرح ، يتحرك فى نشاط خارق، مما اقنع الجميع بأن الفيلسوف العقيد

— وهو تحت احساس طاغ من التهكم والاندراء — قد قدم الى هذا المخلوق كل قطرة من اكسير الحياة .

قريتنا تنام من المغرب وتستيقظ مع الفجر .. ولا شيء يملأ الليل في قريتنا سوى السكون وعواء الكلاب ، الذي يتردد في جنباتها في صوت مبحوح كحشرجة انسان مريض .. او كان الليل يكح في الشوارع والأزقة ومن على أسطح المنازل ..

ولا احد في قريتنا يسهر أبدا الا في النادر . فما يكاد الواحد منهم « يحطف » صلاة العشاء حتى يتوكل على الله ويذهب الى بيته ويغلق الباب من الداخل بالرتاس ضخم ، ويلقي نظرة على الجاموسة المربوطة تحت السقيفة في رحبة الدار ويحمد الله ويشكر فضله على هذه النعمة ويتخطى اولاده المكومين على المصطبة ويدفس نفسه تحت اللحاف بجوار امرأته فان كان مزاجه معتدلا اعطاها وجهه ويلكزها في جنبها لتعطيه وجهها ويأخذان في الدردشة وتنف جلود اهل القرية حتى يطلعهما النعاس .. اما اذا كان مزاجه لئيما على مايرام أعطاها ظهره وراح في النوم وشخيره يعلو ويهبط كصوت مكنة الطحين حينما تحروش ..

حتى القهوة الوحيدة في قريتنا لا تسهر .. فبعد صلاة العشاء بقليل يأتي الحمير الى القهوة «فيلهف» واحد شاي وكرسي معسل ثم يتثاءب ويأمر القهوجي بالتشطيب لان نصف الليل خلاص .

فينادي عبد الصمد القهوجي على واحد من الرجال القاعدين على الدكك أن يتبع معه برميل الماء ذا الرائحة التي يدلق فيه ماء جور المعسل وتفل الشاي وبقايا البن طول النهار ليسكباه امام القهوة .

وما تكاد ماء البرميل تسل امام القهوة وتروح في التراب وتفوح رائحتها الكريهة كالذار للرياش بأن ميعاد التشطيب قد حان حتى يقوم كل الرجال ، ويهرش كل واحد في جنبه ليجرج الفرش ويعطيه لعبد الصمد ويلقي تحية المساء وينصرف ..

حتى لعبة الكوتشينة يقومون بعد تسجيح وشتيمة ورعيق وكل واحد منهم يصر على أنه الغالب وان العشرة لم تتنه بعد . ثم يتفقون في النهاية أن يكملوا السهرة في منزل واحد منهم يكون عنده

كوتسينة حديدية ويعطوه على كل دور بلصوته فرش تمريعه ..

ما تكاد ابواب المنازل تفتح لتمتص رواد القهوة حتى تتراكم السكون فى الشوارع وتتراكم ويحتم على القرية فى كل حتى يخيل اليك ان الاصوات لا توجد فيه ..

لا أحد فى قريتنا يسهر بعد صلاة العشاء الا الكلاب على اسطح المنازل وفى الشوارع .. حتى الحمراء لا يسهرون .. فما يكاد الواحد منهم يلف لفة فى الدرك حتى يستلطف مصطبه وينام فى الطو الحكومة كالقتيل ويحضن البندقية بعد ان يفرغها من الرصاص ويعدل ترباس الامان زيادة فى الحيطه ثم يأخذ فى الشخير كسلطان زمانه .. !

لم تكن قريتنا تسهر ابدا الا فى ليالى قليلة نادرة تكاد تكون معدودة .. وتنبع من ندرتها ان الناس يحسبون ايامهم بها .. لا تسهر قريتنا الا فى فرح احد شبابها أو فى موت احد اعيانها ، وما اقل ان يروح الشبان فى قريتنا وما اندر ان يموت الاعيان فيها .. !

والافراح فى قريتنا لها مواسم فهى دائما عقب جنى القطن أو حصاد القمح، وحين تجىء دخلة احد الشبان يعب فى الارض الفراغ التى تتوسط القرية مسرح صغير ارضيته تتكون من ظهر عربة نقل قديمة يضعونها على براميل مملوءة بالرمل لتتحمل المسرح ومن عليه .. خيمة صغيرة لا تكاد تغطى الا الممثلين فقط ، وفى قوائم الخيمة تعلق بضع كلوبات تظل تلهث الليل كله .. وعلى الدكك القليلة التى تستعار من كل منزل وعلى الارض أيضا يتكوم الفلاحون .. يجلسون القرفصاء بالطواقى البيضاء التى تكسى على نافوخهم ؛ ورؤسهم متداخلة بين اكتافهم كالاوز حين ينام وعيونهم محملقة فى المسرح وفى البنت الوحيدة التى ترقص وتهز وسطها وتمط شفتيها بما عليهما من كميات ضخمة من احمر شفاه رخيص .. عيونهم محملقة وكوع الواحد منهم فى جنب رميله يلكزه باستمرار والتعليقات تنطلق كالصواريخ فتخترق الهواء وتدخل الخيمة المخروبة وتصعد على المسرح لتحدس فى اذن البنت التى ترقص فيزداد رقصها وتحاول ان ترفع ذيل فستانها الاحمر قليلا فتتمايل الرؤوس وتعلو الاصوات مطالبة بالمزيد .. فالبنت بيضاء كالليل وهذا يكفى جدا فى قريتنا لأن تكون كالسيدة عزيزة .. فمقياس الجمال فى قريتنا هو البياض فكل النساء فى القرية سود كالغربان .. القشف يعطى ارجلهن حتى الركبة وأيديهن متشققة من طين الارض وروث البهائم .. اما هذه البنت فبيضاء كعبها احمر يلمع وكأنها تحكه بالطوبة ليل نهار ..

فى ليلة الفرح هذه يسهر كل رجال القرية حتى الصباح ثم يظلون بعد ذلك اشهرا كثيرة يحكون عن آخر فرح ويقصون عنه القصص ويصفون البنت الراقصة .. كل رجل يصفها باسهاب وتفاصيل **وكأنها نامت فى حضنه الليل كله** فيكذبه الآخر ويصفها وصفا يختلف

تماما هي وسعه ويدخل ثالث ليختلف معهما وكل يصر على ان كلامه هو الصحيح حتى اذا ما سمعهم غريب عن القرية فسيخيل اليه انهم لم يروا هذه البنت في حياتهم وانما يصفونها من الخيال ..!

الافراح في قريتنا لها مواسم ومعروفة قبل ان تحدث بشهور بل احيانا بسنوات .. اما مآتم الاعياد فتحدث فجاة وتهبط على القرية كالنقمة او كثلة القدر حتى تفتح للعباد الصالحين .. فما يكاد المنادي يلف في البلد يخبر الناس ـ الذين يكون عندهم خبر قبل المنادي نفسه ـ ان الشيخ فلان قد توفاه الله حتى يرتدي كل رجل احسن جلابيه عنده ويخرج لسير في الجنازة .. اما بالليل فالخيمة الكبيرة الطويلة العريضة تنصب في الوسعاية التي تتوسط البلد، وشيخ من البدر يظل يقرأ الليل كله ، واحيانا ينازل بعض الحكام ويرودون المأتم ويلقون السلام على الفلاحين .. واهم من ذلك كله اللحم الكثير الذي يعرفه اهل الميت على روح المرحوم ..

تلك هي الليالي القليلة النادرة التي تسهر فيها قريتنا .. اما ما عدا ذلك فالاحداث قليلة معروفة لا تستحق الذكر ولا تستحق حتى مجرد شغل البال .. حتى الاحداث الضخمة التي تهز المركز من اوله الى آخره وتحمل اليه المأمور بشرف القرية لتلتهم حدودها .. حتى هذه الاحداث لم تكن تثير في قريتنا ادنى دهشة بل تؤخذ كقضايا مسلم بها او كأمور مفروغ منها ، تماما كطلوع الشمس في الصباح وغروبها في المساء .. فقد يحدث ان يقتل رجل من عائلة او كامل آخر من عائلة الشيخ السني او العكس .. وهذا يحدث كثيرا في قريتنا . فينقلب المركز وتهتز المديرية ويثور المدير على المأمور ويسرع المأمور ليركب العربة الفورد ويشرف القرية ويرمح العساكر طول النهار في شوارعها وحواريها ويشتمل العمدة في ذبح الذبائح للحكومة ويلمع الخضراء اسلحتهم ويرتدون الاحذية .. ثم ينقض المأمور على ان الجاني مجهول لان اهل القتيل لا يبوحون بالسر ، ولا احد في القرية راى الجريمة وهي ترتكب بالرغم من انها ارتكبت في عز الظهر وفي وسط الناس ..

وتمشي الحكومة وهي تعرف انها ستاتي بعد ايام مرة اخرى لتاكل عند العمدة وتحقق في مقتل القاتل .. ! وبعد هذا تسير الامور في القرية في مجراها الطبيعي . كل الناس يعرفون القتيل ويعرفون القاتل ، بل ويعرفون من هو الذي سيتأخذ بالثار ومن هو الذي سيقتص منه .. كل شيء معروف بالنسبة لاهل القرية فهم يقولون باطنة وكأنهم يعصون عود قصب ان محمد بن الشيخ عبد السلام هو الذي قتل مصطفى بن الريس حسين .. حتى مصطفى نفسه يعرف هذا ويعرف انه سيموت ولا يستطيع أن يرد قضاءه وكأنه حكم الأزل لا يقدر على دفعه .. حتى البندقية التي يعلقها على كتفه لا تعدو أن تكون حجابا كمالبية الاحجبة التي يعلقها الفلاحون على صدور مرضاهم في لحظات الاحتضار .

كل شيء في القرية معروف وواضح كالشمس .. القطن يذر اليوم ليبيض من الأرض بعد شهر وتأكله الدودة بعد شهور ، وذلك السليف ساحر في تسليم الكيماوي ، والقطن سيذهب هدرا والشكاوى ستسال على العمدة ولن يتحرك العمدة والذي سيكتب الشكاوى هو الأستاذ عبد الرحيم المدرس الالزامي والذي يملك فدادين في القرية ..

كل شيء واضح ورتيب .. ان الغد في القرية لا يحمل في طياته احداثا مجهولة كالتي تحدث في المدينة .. فايام المدن شراء ، وافقها تطفو سحابات غدها المجهول ، الصحيح الذي يملأها والحياة التي تجري وتبض في شوارعها تكاد تقول لك عش يومك أما الغد فدعه للقدر .. اما في القرية فاليوم كالامس والغد كاليوم ، الفلاح يغيض عنه في الماء وهو يكاد يعرف ماذا سيعمل ومن سيقابل ومع من سيتشاجر غدا . بل ويعرف من الذي سيعض الحماقة التي ينوي ان يقيمها على الجسر من اجل الماء ..

لذلك كله كان الخبر الذي انتشر في القرية ذات صباح مثيرا غريبا .. يثير كثيرا من التساؤل ويملأ الرؤوس باشياء عجبه غامضة .. ولا احد يدري من الذي ابدا بالخبر ومن هو اول من نقله .. فقد استيقظ الناس ذات صباح اغادا بالخبر يملأ القرية ويتغلغل على كل لسان ويدخل كل بيت ، حتى الواحد منهم لا يكاد يعرف بالتحديد متى سمعه ومن هو الذي نقله له .. كأن القرية علمت به مرة واحدة أو كأنه نبت من الأرض او هبط من السماء أو كان الشمس حملته معها وهي تخرج من وراء الجبل الشرقي فالقته على القرية مع أول خيوطها الصفراء التي تعمر القرية كل صباح ..

الخبر كان مثيرا ومدهشا في نفس الوقت .. انفعل به كل الناس .. حتى الاطفال اخذ كل واحد منهم ذيل جلبابه بين اسنانه وانطلق الى جسر الترعة أو الى الحقول ليحكي لرملائه الخبر ، ويجوح الطاقية ويهرش في مؤخرة فقاه كالكبار ثم يقول :

ـ اما حتعمى شوية ليالى ناوله وحتسهر للصبح .

والنساء بالرغم من ان اكثرهن قد رحبن بالخبر في بادىء الأمر فبمجرد سماعهن الخبر وافقن عليه بل وتحمسن له الا انه عندما احتلت كل واحدة نفسها بعد ان ردت عليها نابها وحدت شيئا من الحيرة ومن الخوف الغامض يبث قلبها ويتعش احساسها ومشاعرها بشيء مجهول غامض ينبعث من أعماقها ـ ولو أنها تحاف ان تلفظ لسانها بكلمة ـ الا يحدث هذا وان يكون الخبر مجرد كذب واشاعة من اشاعات الرجال الذين ليس لهم شغلة ولا مشغلة سوى الاشاعات .

أما الشبان فقد تلقوا الخبر بارتياح تام وحماس بالغ فبدلا من المنوار الطويل الذي كانوا يقطعونه في الذهاب

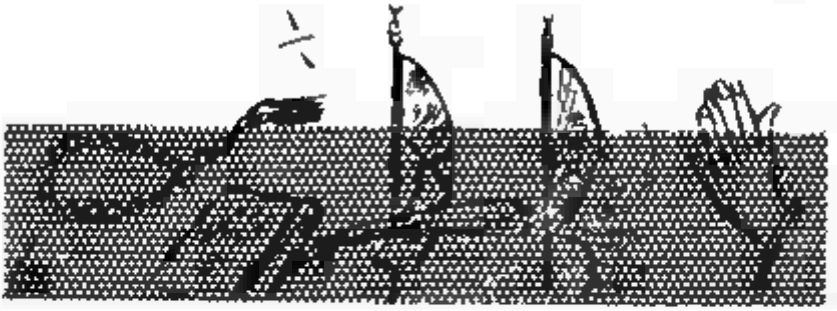

الى البلاد المجاورة كل موسم ولمدة ليلة واحدة اصحب الحكاية على الأبواب كما يقولون وفى قريتهم هم حيث يعرفون كل شبر فيها ومجال الفرفشة واسع وعريض .. والحكاية ليست لليلة يحفظونها حفظا ولكنها ستكون اسبوعا بحاله فيقطعون ما يروق لهم فى بحبحة.. وبلا خوف !

الفئة الوحيدة التى عارضت هذا الخبر بكل قوتها هى فئة الرجال الكبار السن فقد اعتبروا هذا سخرة وقلة ادب وهل هم ناقصين بلاوى ودوشة دماغ .! ورغم المعارضين والمترددين ما كادت الشمس تحمر وتقارب منتصف السماء حتى كان الخبر قد تأكد تماما.. ففى دوار العمدة كان أولاد الشيخ عبد الدايم يجلسون بجوار العمدة يؤكدون له فى كل لحظة أن هذا هو الحل الوحيد وأن هذا الطلب ليس مطلبهم الشخصى ولكنه مطلب الشيخ نفسه .. فمنذ اسبوع وهو كل ليلة يلف على أولاده جميعا يخبرهم بأنهم يجب ان يطلبوا العمدة بالحكاية .. وما زالوا يقصون عليه القصة ويحكون له الحلم عشرات المرات حتى كاد العمدة يشك فى أنه هو نفسه قد حلم أيضا بهذا الحلم وأنه رأى تماما الشيخ عبد الدايم وهو يحطر فى جلبابه الأبيض وعمامته الحمراء الضخمة وذقنه الطويلة المهيبة ومسبحته التى تتكون من تسعة وتسعين حبة وهو يمد يده ليمس على دماغ العمدة ويأمره بالقيام مولد له هذا العام وعقب العيد مباشرة ..

والشيخ عبد الدايم هذا هو أكبر مشايخ قريتنا الذى يبلغ عددهم اربعة .. ولا يدرى أحد فى القرية بلد الشيخ عبد الدايم الأصلى ، فأجدادنا يحكون لنا أنه غريب عن القرية هبطها ذات مساء وأقام فى المسجد ليل نهار يصلى بالناس ويخطب الجمعة ويلقى احاديث العصر ويقيم الذكر فى المساء ويحكون عن معجزاته العجب فيقولون انه كان احيانا فى موسم الحج يختفى تماما من القرية ولا يدرى أحد أين ذهب حتى اذا ما انتهى موسم الحج ظهر فى القرية قبل ان يهبطها اى حاج ليقول للناس انه كان فى الحجاز يؤدى الفريضة .. والغريب فى الأمر ان بعض

الحجاج من قريبا كانوا حيثما يعودون من الحجاز ويسمعون الخبر حتى يؤكدون تماما انهم راوا فى الطواف رجلا يلبس ابيضا فى ابيض يشبه تماما الشيخ عبد الدايم ولا يستبعدون اطلاقا ان يكون هو . عقل الناس من كل مكان ليقبلوا يده طالبين منه الدعوات الصالحات .. ولم يتروح الشيخ عبد الدايم ولم يجب ورغم ذلك فقد ظهرت طائفة من الناس فى القرية تدعى انهم أولاد الشيخ عبد الدايم .. ومات الشيخ عبد الدايم وظل أولاده يتوارثون اسمه ويتقاسمون النذور التى تاتى الى ضريحه ..

ويبدو ان أولاد الشيخ عبد الدايم قد أحسوا منذ سنين أو ثلاثة أن النذور التى تاتى الى ضريح الشيخ قد ابتدات تقل حتى كادت أن تكون نادرة وان بعض مشايخ القرى المجاورة الذين تقام لهم موالد ضخمة يكتسبون شهرة اوسع واكبر من شهرة الشيخ عبد الدايم وبالتالى يكسب اولادهم واتباعهم اكثر مما يكسب أولاد واتباع الشيخ عبد الدايم ، فاخذوا يلحون على العمده ان يقيم مولدا للشيخ والعمدة يعارض، والرجال كبار السن فى القرية يعارضون بشدة لأن اقامة مولد فى القرية معناه اضاعة هيبة البلد وتهدئتها وانتشار السرقات فيها .. فمع كل مولد لابد أن يأتى الفجر بحيامهم ونسائهم واطفالهم وكلابهم .. !

والفجر قوم لا بلد لهم ولا مسكن يحملون خيامهم فوق ظهورهم ويقولون بلاد الله لخلق الله يذهبون مع الموالد الى كل بلد . لا يرعون حرمة لاى بلد ينزلون فيه ولا يأبهون بشىء على الاطلاق .. يقول عنهم اهل قريبا والقرى المجاورة انهم خطافة ، حرامية. يسرقون الكحل من العين .. نساؤهم يسرقن رجال القرى ورجالهم يسرقون نساءها واطفالهم يسرقون العيش من أيدى الاطفال فى الشوارع .. حتى كلابهم تجرى فى الحوارى وراء كلاب القرى لتسرق منها العظم .. لا قانون يحكمهم سوى قانون الخطف والسرقة .

ونساء قريتنا اخشى ما يخشينه أن يهبط سواد الفجر الى القرية فسواد الفجر ـ فى رايهن ـ عيونهن رائعة سوداء فيها عصابة اذا نظرن للرجال فانهن ينظرن لهم بعيون مخملقة لا تحمل ولا تتكسر تحت نظرات الرجال . عيون تكاد رموشها تتكلم وتنادى على الرجال . خدودهن حمراء قد لوحتها شمس الصيف او كان حمرتها قد اكتسبت من النيران التى يشعلنها دائما امام الخيمة فى المساء ، اجسامهن ملفوفة ومرومة كعود الخيزران تنساب تحت الفساتين الأسود اللامع فى تناسق يسبى عقول الرجال ! .

ومنذ ان طافت فكرة اقامة المولد بذهن أولاد الشيخ عبد الدايم واخذوا يشرونها وسط الشباب ويطالبون بالمولد فى كل مكان . منذ هذه اللحظة والرجال الكبار السن يعارضون ويلتفون حول العمدة فى اصرار ليبعدوا عنه كلام أولاد الشيخ عبد الدايم .. حتى كان ذات

يوم مات فيه ثلاثة رجال للعمدة دفعة واحدة ولم نعرف سبب موتها ، ولم يمر الدور بعد في نفس الشهر حتى كان مخزن القمح قد اشتعلت فيه النار، وهاج العمدة وحقق وضرب الخفراء ولما لم يصل الى حل ليقين ان عينا اصابته ... وفجأة وبلا مقدمات مرض ابنه الكبير بالحمى ولزم الدار مريضا يتوجع ... واحار العمدة واحتدت تشتله افكار وتصمه افكار وهو يضرب كفا بكف ويقول .. ما الحل ؟ .. وكانت فرصة لأولاد الشيخ عبد الدايم .. فرصة من ذهب .. وانتهزوها .. !

واحدوا يلتفون حول العمدة في الدوار يشربون القهوة ويرتون في آدابه طول النهار وطول الليل بان الشيخ عبد الدايم يريد مولدا ككل مشايخ القرى المجاورة وان الشيخ عبد الدايم كان كفيلا بمنع هذه المصائب لولا انه غاضب من العمدة لانه يعطل اقامة المولد ... وقلوب الناس في قريتنا يرعشها حتى مجرد الخاطر العابر بان حادثا ما يمكن ان يحدث .. فالرجل في قريتنا مهما كان غنيا ومهما كان ثريا وحتى لو كان من أولاد ابو علي الذين يشترون الاهرام كل يوم من البدر .. كل هؤلاء يفرحهم كل الفرحة دعاء ينبعث من لسان امرأة عليانة ... ويحييهم كل

الخوف أن يدعى عليهم أحـــد حتى ولو كان محلولا ملبس حينئـــذ على اللحم ..

لذلك فقد جاء العمدة من كرامات الشيخ عبد الدايم وأمر باقامة المولد .. وطار الخبر في القرية بقول ان الشيخ نفسه هو الذي ذهب الى العمدة في المنام ليالي طويلة ، بعضهم قال انها كل ليلة جمعة والبعض الآخر قال أنها أسبوع وراء بعضه وفريق ثالث يؤكد أنه سمع العمدة نفسه يقول انه منذ شهر والشيخ يأتي اليه كل ليلة بعد صلاة العشـــاء ويظل يوصيه باقامة المولد ويوصيه حتى مطلع الفجر ..

وخاف المعارضون في ان يجهروا برأيهم لئلا يصيبهم لعنات الشيخ عبد الدايم فهم كانوا يعارضون حينما كانت هـذه رغبة شـاب القرية اما ما دامت هذه هي رغبة الشيخ نفسه فالعين لا يمكن ان تعلو على الحاجب .. وقد كان ..

وذات مساء اضيئت الارض الفراغ التي تتوسط القرية بنور قوي وانتشرت عشرات الكلوبات في انحائها واقيمت المراجيح والخيمات الصغيرة .. وأقبل الفجر بخيامهم وأشتد الرقص والغناء الى الصباح ..

وظلت القرية اسبوعا لا يحـــس من العمر .. أسبوعا بأكمله ظلت تسهر فيه لوش الصبح .. حتى جاءت الليلـة الكبيرة فخرجت القرية بأكملها تتمرح على الليلة الكبيرة وتمرح على موكب الرؤية الضخم الذي يتقدمه اكبر أبناء الشيخ عبد الدايم بجلبابه الابيض الحريري والعقال الحجازي يطوق رأسه والكوفية تلتف على اكتافه وهو فوق حصان ابيض اصيل ومن خلفه حملة السيوف يدقون بها اعناقهم ، ويلوحون بها في الهواء في هستيرية وحملة الدفوف والطبول يقرعونها في قوة وعزم وكأنهم يدقون عليها لأول ولآخر مرة في حياتهم ..

كانت النظرات التي تملأ وجوه الناس في قريتنا نظرات عجيبة يشع منهـا الابتسام ويشرق فيها البشر وتكاد تتسع لتطوق كل جنبات الوجه .. نظرات باسمة تحمل آلاف المشاعر وترسم الاف الاحاسيس وتحكي حلاوة الأسبوع الذي عاشوه وتحكي أيضا مرارة الأيام التي سيعيشونها بعد هذه الليلة ..

كان كل شيء في الليلة الكبيرة بهيجا ومثيرا وحلوا .. كل شيء في المولد كان يلون بما يتمدد في أعماق النـاس من اشياء غامضة لعلها الفرح بالنور الذي يملأ القرية أو لعلها الخوف من الظلام الذي سيبتلعها منذ اليوم التالي .. النور الذي كان يتلألأ في سماء قريتنا في تلك الليالي كان يمسح عن القلوب احزانها ويذيب الهموم التي كانت قد طوقتها في ساعات النهار ..

كل شيء في الليلة الكبيرة كان يتحد الوانه من داخل نفوس الناس كان الليل كان يمس فرشاته في اعماق الناس ليلون بها الساحة والطريق وقمة المئذنة والوجوه ..

واكتظت ساحة المولد بالشبان .. جذبتهم الانوار واجساد الراقصـات والرحام فجاءوا ليقضوا ليلتهـم في المولد .. والنساء أتين من كل جهة في القرية وصعدن الى أسطح المنازل التي تطل على الساحة وانكببن بصدورهن على الجدار وراحت عيونهن تتحول في المولد وتتدس في الزحـام تتحسس اجساد نساء العجـــر وقلوبهن على الرجال ..

ولأول مرة لا تنام قريتنا من المغرب ولأول مرة لا تدور التراتيس الضخمة في الأنوار تعلقها باصرار مع غروب الشمس ..

الفرحة بالليلة الكبيرة جعلت الناس يغفلون عن كل شيء ..!

ومع هبوط الفجر عاد الناس الى بيوتهم ليناموا ويحلموا بالمولد ويصحوا الغد بمتع اكثر في الليلة المقبلة .. لم نعيش ..!

وقبل أن يصفصف السامر تماما ويخلو الساحة من الناس كان الفجر يلون خيامهم ويسابون مع خيوط الصباح الأولى الى حيث لا يعلم احد ..

ولم تكن اعين الناس قد راحت في النوم ، بعد حتى انبعث من عدة اماكن في القرية صرخات تعلن على أن شيئا قد حدث ..

وعندما استيقظ الناس والشمس تعمر كل القرية علموا أن بقرة محمد ابراهيم الذي يقع منزله بالقرب من ساحة المولد قد اختفت وان حاموسة علوان من شرق البلد قد راحت وان بيوية روحة حسين ابو دومه قد قلت الأرض بحثا عن حليها وقرشين الراحل تحويش العمر فلم تجدهما ..!

وظلت قريتنا بعد ذلك شهورا طويلة تتحدث عن السرقات التي حدثت وتؤكد في اصرار أن الفجر ناس خطافة حرامية وعلطان هو الذي يسمح لهم بالاقتراب من منزله ولا يصح ابدا أن تسمح لهم اي قرية بالدخول فيها واقامة الموالد ..

ولكن ما كاد يستدير العام ويضرب ميعاد المولد حتى نسي الناس في قريتنا تماما هذه السرقات .. وأشرقت وجوه الشبان والرجال والأطفال وهم يحلمون بليالي المولد السعيدة .. واردحم صرح الشيخ عبد الدايم بالناس يتمسحون بتابوته ويمسحون بأيديهم على العمامة الكبيرة الضخمة المنيرة فوق التابوت وهم يؤكدون في كل مرة انه منذ ان اقيم المولد وكرامات الشيخ عبد الدايم تحل على القرية ..

واحيانا كان يحاول احد الرجال الكبار السن أن يعارض في اقامة المولد ويحاول ان يذكر الناس بالسرقات التي حدثت .. كانت الرؤوس تهز في عنف واصرار وهي تؤكد انه لم يحدث اي سرقات في القرية .. وكيف تحدث السرقات والشيخ عبد الدايم يحميها وبركاته تمتد الى كل شبر فيها ..

واقيم المولد وسهرت قريتنا اسبوعا باكمله .. وانفض المولد واكتشفت سرقات وصمم الناس على عدم اقامة المولد مرة اخرى ..

ولكن ما كاد العام يستدير حتى جاء الفجر ونصبت المراجيح واضيئت الساحة ..

وما زالت قريتنا الى الآن تقيم المولد كل عام .. وما زال الفجر يحضرون الى قريتنا ليرقصوا فيها ويسرقوها في نهاية الأمر .. والرجال والنساء والأطفال في قريتنا يؤكدون في كل مرة انه لم يحدث ابدا سرقات .. وان كرامات الشيخ عبد الدايم تحمي القرية وتمتد الى كل شبر فيها ..!